مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.
المجلد:06/ العـدد:01 (2022)، ص304/295

تيمة التَّمرُّد في شعر الشنفرى
Rebellion theme in El-Shanfara poetry

نجاة طرهيوة*
n.terhioua@univ-boumerdes.dz
جامعة أمحمد بوقرة بومرداس
مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائرية(جامعة الجزائر2)
(الجزائر)

د. سعيد بهون علي
s.bouhoun-ali@univ-boumerdes.dz
جامعة أمحمد بوقرة بومرداس
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/06/25 تاريخ القبول: 2021/12/03 تاريخ النشر: 2022/06/02

الملخص:
يعالج المقال تيمة التمرد في شعر الشنفرى هذا الموضوع الذي بات ملتصقًا بالشاعر لا ينفصل عنه، فقد شكلت حركة الصّعاليك أوّل حركة تمرد في الشعر العربي، إذ شقّوا عصا الطاعة ومنهم الشنفرى وخرجوا عن العرف القبلي، وتمرد الشنفرى ما هو إلّا تعبير عن الذات الرافضة للظلم والراغبة في الانتقام، فشعره له نمط ومتن معين، وهو شعر صادق معارض للقبيلة، ولذلك وجب علينا إعادة النظر في التُّهم التي تلصق بالصَّعلكة لأنّها صادرة عن السلطة وليست صادرة عن النص الشعري، فالأدب الخالد هو الأدب الحر بصرف النظر عن موقف السلطة منه، فالشنفرى يرفض مراسيم القبيلة وطقوسها، ولا يهمه أن يُغضب القبيلة أو لا، لأنّ همه الوحيد أن يكون أديبا حُرًّا، ولهذا كان لا بدَّ من إعادة الاعتبار لهذا الشعر وأن لا ننظر له على أنّه خروج عن الطاعة، بل علينا أن ننظر له كما نراه نحن وليس كما يراه الآخرون.
كلمات مفتاحية: تيمة، التَّمرُّد، شعر، الشنفرى، الصَّعاليك.

Abstract:
This article deals with the theme of rebellion in the poetry of El-Shanfara, this topic that has become inseparable from the poet himself. As the movement of the "Saaliks" or Vagabonds constituted the first rebellion movement in Arabic poetry, including El-Shanfara, departed from the tribal pre-Islamic poetic custom, and El-Shanfara rebellion is nothing but an expression of the self rejection of injustice and desires of revenge, and he was a proud rebel against the tribe and society, El-Shanfara did not hesitate to leave his tribe after feeling offended, so he took the desert as a refugee, despite its dangers. So he adapted to the new life, and he remained attached and victorious to his identity in a new poetic style through a rough and tough style, against the usualcustoms.
Keywords: *Theme; Rebellion; poetry; El-ShanfaraL; The vagabonds*

*المؤلف المرسل.

1.مقدمة:

قامت حياة العرب في الجاهلية على أسس ومبادئ من عادات وتقاليد وعرف يخدم القبيلة على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي تقوي شعور الأبناء بالانتماء للقبيلة الواحدة من وحدة الدم فكان منها الأصلاء، والحلفاء، والموالي، والعبيد.

كان الشنفرى ذا عزيمة قوية يتمتع بالإرادة، والحماسة، وحب الحياة، فهو قائد التَّمرُّد الساعي للتغيير ورفض الظلم والعبودية، ويسعى هذا البحث إلى تبيين موضوع التَّمرُّد على الباطل، فتمرُّد الشنفرى كان على قوانين القبيلة وليس القبيلة في حد ذاتها حين رفض الذّل والهوان، وفضّل العيش في الصحراء، فتمرده كان تمرُّدًا على الواقع السيئ بكل مقاييسه، فيما تتجلى تيمة التمرُّد في شعر الشنفرى؟.

ولذلك خالف الشاعر منهجية القصيدة في عصره ، أي أنه تمرَّد على التقاليد الشعرية السائدة في الشعر الجاهلي، وكان سائدًا الفقر والغنى ممّا أدّى إلى وجود الطبقيّة بين الأفراد فنتج عنه تمرد اجتماعي، فقد وصف الشاعر مشاهد الصحراء والنبات والحيوان، ومطاردة الحيوانات المتوحشة، ووصف حياته وغزواته وهجومه على القوافل وسلب الغنائم، فهي حركة تمرد على النظام القبلي، ويهدف هذا البحث إلى السعي إلى تجسيد ظاهرة الصَّعلكة وإضافة الجديد في الدّراسات والبحث والتمحيص بشكل كاف، وتكمن أهمية البحث في أنّه يُمكّننا من التعرف على حياة الصّعاليك عامةً، والشنفرى بشكل خاص على اعتباره واحدًا منهم، وتبيين دور الشنفرى في تعزيز مفهوم الوجود عن نفسه وذاته المتمردة التي تأبى وترفض الظلم، ويقوم المنهج المتبع على دراسة النصوص الشعرية بما يفيدها من المناهج كالمنهج النفسي- والاجتماعي والتاريخي، والقراءات الموضوعية والنقدية.

2.مقاربة المفاهيم والمصطلحات:

تيمة التَّمرُّد هي أساس شعر الصَّعاليك وعماده، تمردوا في انتمائهم وغربتهم، في قولهم وفعلهم، في انتصاراتهم وانهزاماتهم، تمرد جعلهم في مطاف الشعراء الحقيقيين، وسنتطرق إلى مفهومي التيمة والتَّمرُّد كل على حِدة.

1.2. مفهوم التيمة:

"تيمة كلمة من اللفظاللّاتينيّ(تيما)ويعني الشيء الذي نضعه، أمّا الكلمة نفسها فتعني الفكرة الأساسية أو التكوين الرّئيس للجملة أو النص، ويمكن أن تشير إلى مجموعة كلمات تنتمي إلى حقل واحد إعطاء دلالة معينة"[1]، الكلمة لها عدة دلالات. "ويشتق مصطلح " الموضوعاتي " (**Thématique**)في الحقل المعجمي الفرنسي- من كلمة (**Thème**)، وهي " التيمة "، وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة كالموضوع، والغرض، والمحور، والفكرة الأساسية، والعنوان، والحافز، والبؤرة، والمركز، والنواة الدلالية،إلخ"[2]، تعدد معنى التيمة على حسب ورودها في الجملة. فقد ترجمت كلمة (**Thème**)بما لا يقل عن 15 مقابلاً: "تيم، ثيمة، تيمة، موضوع، موضوعة، غرض، مضمون، معنى رئيسي، جذر، محور، ساق، ترجمة، قضية، فكرة، خيط،"[3]، تعدد ترجت تيمة على حسب اللغة المترجمة إليها وتطور معاني المصطلحات. كما ترجمت كلمة**Thématique**)(بما لا يقل عن 13 مقابلاً: "التياتية، الثيمية، التياتيكية، الغرضية، الأغراضية، الجذرية، المضمونية، المنهج المداري، الموضوعية، المنهج الموضوعي، الموضوعاتية، المواضيعية، نظرية الموضوعات..."[4]، تعددت الترجمات اعتمادا على المفاهيم والمقاربات.

2.2. مفهوم التَّمرُّد:

التَّمرُّد كباقي المفاهيم فكما له معاني سلبية له معاني إيجابية أيضًا، ويختلط التعريف به بالأفكار التي روَّج لها الإعلام الغربي عن طريق الاحتلالات المختلفة، وتنامى الصِّراع بين قطبي الرأسمالي والاشتراكي، فنال مفهوم التَّمرُّد كثيرًا من التشويه، ومن ناحية أخرى عبر مراحل التاريخ المفاهيم تتبدل فما كان يعتبر الثورة حرام أصبح اليوم يهلّل بها. ويُكوّن فعل التَّمرُّد مجموعة من العناصر منها ما هو بيولوجي واجتماعي هدفه إشباع الحاجات الأساسية للإنسان، ومنها ما هو سيكولوجي وثقافي، كل هذه العناصر تُكوّن الوعي الذي هو المصدر الأوّل للتَّمرُّد بمعنى السعي إلى التغيير، فعندما يستيقظ الوعي يتضح للإنسان عبثية الوجود، وعدم إدراك المصير الإنساني وسط الظلم لذلك هو يعارض كل ما يضرُّ ويضير به، فحين يدافع عن قناعاته فهو يدافع عن نفسه، وعن وحدة شخصيته، وهذا ما يُولّد التَّمرُّد الذي يحمل قيمة معينة، فالتَّمرُّد يظهر في مجتمعات تتوارى فيها لا مساواة واقعية وراء مساواة نظرية، والتمرد يخصّ إنسانًا عارفًا

ومدركا لحقوقه وما عليه، والمتمرد واقعي يدعو إلى وجود مجتمع إنساني بعيد عن القداسة[5]، فالتمرد هو الانتفاضة ورفض تنفيذ الأوامر، وهو مجموعة من أنماط السلوك الاجتماعي الموجه إلى أشكال السلطة المختلفة ومظاهر النفوذ، للخروج عليها، قام بهذا التمرد جماعة من الأفراد استقطبوا مجموعات أخرى من الناس.

3.تجلّيات التّمرد في شعر الشنفرى:

لا غرابة أن تهيمن تيمة التمرد على شعر الشنفرى الذي تمرد على الظلم حتى وهو يمرُّ بأصعب أيامه في الصحراء القاحلة مع الحيوانات المفترسة، فكان التمرد مبدأ الشاعر فهو يرى سجن الحاجة والعوز أهون من السجن والقيود التي فرضتها عليه قبيلته.

1.3.الشنفرى سيرته وأخباره:

الشنفرى شاعر جاهلي قحطاني من الأزد وهو كما في الجمهرة وغيرها من بني الحارث بن ربيعة بن الإواس بن حجر بن هنو بن الأزد[6]، وهو من شعراء الجاهلية الفحول. "المعروفبالشنفرى لغلظة شفتيه، مثلما مشفرة البعير..."[7]، لقب بهذا الاسم نسبة لشفتيه. أسرته بن فهم بن عمرو بن قيس بن عَيلانَ، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلمانَ بنُفَرّج عوف بن مالك رجلاً من فهم، أحد بني شبابه ففدته بنو شبابه بالشنفرى قال: فكان الشّنفري في بني سلمان بن مفرج لا تحسبه إلّا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان السُّلامي اتخذه ولدًا وأحسن إليه وأعطاه، فقال لها الشنفرى اغسلي رأسي يا أخيّةُ وهو لا يشك في أنّها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها ولطمته، فذهب مغاضبًا حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: أصدقني ممن أنا؟ فقال: أنت من الإواس بن حجر، فقال: أما أنّي لن أدعكم حتى أقتل منكم مائةً بما استعبدتموني، ثمّ إنّه مازال يقتلهم حتى قتل تسع وتسعين رجلاً[8]، هنا أدرك الشنفرى نسبه الحقيقي وبدأ رحلة الانتقام.

الشنفرى أحد أولئك الأغربة الذين رأينا أنهم كانوا يمدّون حركة الصّعلكة بجماعات كبيرة من الصّعاليك، ويضعه صاحب لسان العرب نقلاً عن ابن سيده عن ابن الأعرابي بين " أغربة العرب "، وكذلك يفعل صاحب تاج العروس نقلاً عن التهذيب والمحكم ولسان العرب، ويضعه ابن الأعرابي في نوادره بين أغربة الجاهلية، والشنفرى نفسه يصرح في بعض شعره بأنه (هجين)[9]، ولونه وشكله لا يقل من شأنه فقد كان عزيز النفس لا يأبى الإهانة والذل. "من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائيهم وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم"[10]، تبرأ من عشيرته قبل أن تتبرأ هي منه لأنه كان يرفض نظامها الجائر والظالم.

2.3. شعر الشنفرى:

الشنفرى له أشعار متفرقة في كتب الأدب وكلها في وصف غاراته وشدّة بأسه، وأشهرها قصيدته المعروفة بلامية العرب، وشك بعضهم في نسبتها إليه وأضافها ابن الدريد إلى خلف الأحمر، ونسبها غيره إلى شعراء صدر الإسلام، على أنّ هذا الشك لا يضيرها من حيث تعابيرها الجاهلية وموافقتها لحياة الشنفرى وما رافقها من شظف عيش وخشونة طباع، وقد عني بشرحها كثير من العلماء كالمبرد وثعلب والزمخشري ودرسها المستشرقون ونقلوها إلى لغاتهم[11]، وكانت لاميته من أروع القصائد التي جاد بها الشاعر.

ضاع شعر الشنفرى مثل بقية الشعر الجاهلي، وأما عن دواوين الصّعاليك لم يصل إلينا إلّا ديوانان، أحدهما لعروة بن الورد والثاني للشنفرى وقد طبع طبعة غير وافية لعدم استيعابها كل ما في النسخة الخطية الموجودة بدار الكتب المصرية"[12]، ضاع أغلب الشعر الجاهلي ليس فقط شعر الصّعاليك لعدم وجود التدوين في تلك الفترة كان فقط الاعتماد على الرواية الشفوية، فأغلب الرواة إما توفوا في الحرب أو لكبر في السن إضافة لعامل النسيان. وسجل الشنفرى في شعره جوانب أخرى من حياته، فقره، وهزاله، ونعليه الممزقتين، وثيابه البالية، وحمله قربة الماء، وتشرده في الصحراء بين الوديان المخيفة حيث الجن والآساد، وغاراته على غير بني سلمان، ويوشك ما وصل إلينا من شعر الشنفرى أن يدور كله داخل دائرة التصعلك، ونقول يوشك لأنّ تائيته المفضلية تبدأ بمقدمة طويلة من النسيب التقليدي، يرسم فيه صورة رائعة ممتازة لصاحبته الوفية الجميلة[13]، وما يميز أسلوب الشنفرى الفني تلك الخشونة اللفظية التي تمثل اللغة البدوية الجاهلية أصدق تمثيل، ثم تلك القوة التعبيرية التي تجعل أسلوبه أسلوبًا محكماً لا رخاوة فيه، هذا إلى جانب ما يمتاز به من صدق التصوير، والصراحة في النقل عن الحياة[14]، كان شعره ترجمة واقعية لحياته التي عاشها.

حين أحسّ الشنفرى بالظلم وعرف أنّ للحرية ثمنها، ورأى أنّ الترحل والتوحش ذو قيمة ذاتية تصون النفس عن الهوان، أعلن خلع القبيلة، وتمرد على تقاليدها القاسية، وقرر أن يشق عصا الطاعة لأنهم لم يبادروا إلى نصرته عندما تمّ سبيه من قبل بني سلمان بن مفرج، لقد أراد صاحب "لامية العرب" أن يحقق لنفسه كيانًا مستقلاً عن أذى الناس، وأن يكون له وطنه المستقل، وطن يسامر نجمة تلمع في بيتها السماوي، وبرقًا ينهض من عتمة الليل، وغيمة تَزُفّ ماءها عبر الأفق، والصحراء التي يملأ بعينيه بأفقها الممتد اللامتناهي، لقد اختار الشنفرى وطنه الجديد وأطلق صرخةً مدوية[15] :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ... فإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتْ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وَشُدَّتْ لِطَيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

لَعَمْرُكَ مَا فِي الأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ ... سَرَى رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وهو يَعْقِلُ

ولِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَرَقْطَاءُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْئَلُ

هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ ... لَدَيْهِمْ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

وكُلٌّ أَبِيٌّ بَاسِلٌ غَيْرُ أَنَّنِي ... إذا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

وإِنَّ مُدَّتِ الأَيْدِي إلى الزادِ لَمْ أَكُنْ ... بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْمِ أَعْجَلُ"

وبهذا شرع في رحلة الانتصار للذات الجريحة، وحدد الرحلة بتوقيت فلكي ملائم هو الليل، حيث يتسع الليل للرّاحلين، وقد كان الشاعر ناقماً على قومه لكثرة الظلم الذي لحقه منهم.

ولقد ترحل الشنفرى في فدافد الأرض ونسج ما يناسبه من الخطوط المأساوية التي هي أكثر سحقًا وقهرًا، وأعلن عبر رحيله فلسفة موت المكان، طامحًا إلى فضاء خال من النفاق والتخاذل، لكنّه اختار مجتمعًا أكثر توحشًا وصرامة، اختار الوحوش لأنها في نظره أقلّ ضررًا من الإنسان، هم مستودع السرّ[17]، فضل غدر الوحوش في الصحراء على أهله لأنهم أقل ضررا منهم في نظره.

الذّئب رمز التشرد والتوحش والقوة، فأسقط عليه الشاعر ما يجيش في نفسه وتبادل معه الضرر والمعاناة. والنمر رمز الافتراس والبطش، والضبع يقتات على جثث القتلى، فلا غرابة أن يستأنس الشنفرى بالحيوانات الكاسرة نكاية بالإنسان المتغطرس المنافق.

لقد احترف الشاعر الصّعلكة إيمانًا بمبادئ سامية وقيم فاضلة سعيًا لإقامة العدل وتحقيق المساواة إذ كشف الصّعاليك صحوة الضمير مبكرًا، في حين يكون هناك ظلم وتجبر وسوء توزيع للثروات فيتناسل الصّعاليك ويكثر المغتربون وتظل بوصلة المجتمع تتأرجح صعودًا ونزولاً على أن يتحقق شكل مقبول من العدالة ورفع الظلم[18]، ظل الشاعر يحارب الظلم ويهرب منه بشتى الطرق والوسائل.

وفي الحقيقة ليست القضية قضية تحوّل شاعر من قوم إلى آخرين، ولكنّها قضية أخرى أبعد غورًا، وأشدّ مأساوية، إنّها قضية الانتماء، فنحن أمام ذات أرهقها المجتمع الإنساني بظلمه، وأذاه، وبغضه، فإذا هي تخلع انتماءها إلى مجتمع وتؤسس انتماءً جديدًا لها إلى المجتمع الحيواني، إنّها تغترب عن عالم الإنسان، وتلوذ بعالم الوحوش الكاسرة وتكشف بذلك عن اغتراب قاس وجريح[19]، وشعر الصّعاليك هو شعر تحدي وتمرد وصمود، هو شعر تحقيق الذّات لا البكاء على القبيلة.

وأخذ الصّعاليك أسلوب المواجهة بتغيير القبيلة بالصحاري والوحوش، هذا العالم البديل الذي وجدوا أنفسهم فيه يرى د. وهب أحمد رومية أنّ الموت الجاهلي موتًا فاجعًا مدمرًا، وكان الإحساس به مبطنًا بالحسرة والمرارة، وأيّة فجيعة مرّة أقسى من أن يفنى الإنسان فناءً مطلقًا؟ ففي شعر الصّعاليك مرارة لاذعة وحسرة مستمرة وألم كبير، فإن لم يكن من

الموت مناص، ولا عنه محيص، فالأجدر بهؤلاء الصّعاليك أن يموتوا ميتة الأحرار، ولئن فاتهم طلب الخلود فأنّ شرف الموت لم يفتهم[20]، فضّل الموت على الحياة، "فالشنفرى كان له صبر على الخطوب واثقًا من نفسه، فقد مات موتًا نبيلاً يجدر به[21].

وكان الصبر أحد صفات الصّعاليك الذين غالبوه بكل الطرق، بحثًا عن المغانم والقوافل التجارية، يساعدهم في ذلك قدرتهم على العدو، والاختفاء في الجبال، وشعرهم كان يعبر عن أحاسيسهم وعواطفهم ونزعاتهم، وكان الشنفرى يدرك أنّهم جماعة لا تلقى إحسانًا أو عاطفة من أحد، وكان الضرب في الأرض للحصول على الطعام، يقول الشنفرى:

أُدَيْمُ مِطَالَ الجُوعِ حتَّى أُمِيتَهُ ... وأَضْرِبُ عَنْهُ الذِّكْرَى صَفْحًا فأُذْهَلُ

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلاَ لا يُرَى لَهُ ... عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ آمْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

ولولا آجْتِنَابُ الذَّمِّ لم يُلْفَ مَشْرَبٌ ... يُعَاشُ بِهِ إلاَّ لَدَيَّ وَمَأْكَلُ

ولكِنَّ نَفْسًا مُرَّةً لا تُقِيمُ ... على الذامِ إلاَّ رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايَا كَمَا آنْطَوَتْ ... خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ

سيطر حسّ التمرد والاعتزاز بالنفس لدى الشنفرى، فهو يسعى دومًا للنهوض والانتفاضة بالصبر على الجوع والمآسي والمشاكل التي تعوقه، مُعْتَدًّا بذاته الإنسانية، فقد رفض الواقع الرديء الذي يسوده الظلم والقهر فقد جاب الصحراء وخرق شعابها ودروبها، واستفّ تربة الأرض دون أن يهين نفسه أو يطلب الزاد من أحد، وهذا قمة التمرّد، ولذلك فهو هزيل، طاوي الأمعاء، فصبره قمّة التحدي للمعاناة.

لقد أثبت الشنفرى قوّة انتصار الضحية على الجلاد بعدما جلس في طريق الموت بقلب مشيع، الثأر يغلي في دمه كذئب كئيب في العراء، لكن شيئًا كاشتياق الموت يدفعه ليبلغ بطشه الممتد، ليكشف عن صدره العاري لأمطار الرماح ولا إجابة عن سؤال الموت فوق أطلال الجماجم، فقتل مئة من بني سلمان انتقامًا لسبيه وحرمانه الحرية؛ نعم عاش مغتربًا متشردًا لا يجد ضرورة للقبر، فمن تصعلك في حياته لا يضيره استقراره في الممات وهو القائل[22]:

لا تَقْبُرُوني إنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ ... عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عامِرِ

إذا آحْتَمَلُوا رَأْسِي وفي الرأس أَكْثَرِي ... وَغُودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَى ثُمَّ سائِرِي

هُنَالِكَ لا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي ... سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلاً بِالجَرَائِرِ

لَقَلَّمَا لَهَا قَدْ كَانَ ذلك مَرَّةً ... ولَسْتُ على ما قَدْ عَهِدتِ بقادِرِ

والشاعر كأنّه نبه بهذا الكلام على أنه ممن يُقْتَل ويُتْرَك بالعراء لا يرثي له شقيق، ولا نسيب ولا رفيق، فيأتيه عوافي السّباع والطير، فهو يوري أصحابه استغناءه عنهم حَيًّا وميتًا. ثمّ قال: "ولكن أبشري أمّ عامر"، أي ولكنّ الضبع تأكل لحمي فأبشري أمّ عامر، فقد جعله لقب الضبع. وقال "في الرأس أكثري" لأنّ الحواس خمس، وأربعة منها في الرأس: البصر للمرئيات، والأذن للمسموعات، والأنف للمشمومات، والفم للمذوقات، وكان الشنفرى أحد الخلعاء الذين تبرّأ عشائرهم منهم وأُسلموا بجرائرهم.

ومن أجل ذلك كشف القناع مع قومه، وأخذ يتفادى منهم، وأشار بقوله "هنالك" إلى الوقت الذي يتناهى فيه الأمد، ويدنو فيه الأجل، لا إلى الوقت الآني بعد القتل، والمعنى في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سارّة لي، وأنا مخذول مسلم

بجرائري في القبائل، لا يُرى إلَّا شامت بي، أو طالب للانتقام منّي، وقوله سجيس الليالي يراد امتداده وسلاسته في الاتصال[23].

وهل توجد صورة أكثر تعبيراً عن التمرد من قوله:

وأغْـدُو عـلى القُـوتِ الزَّهِيـدِ كـما غَـدَا ... أَزَلُّ تـهَادَاهُ التنَـائِفَ أَطْحَـلُ

غَـدَا طَـوِيًا يُعـارِضُ الرِّيـحَ هَفِيَّـا ... يَخُـوتُ بِـأَذْنَابِ الشِّـعَابِ وَيَعْسِـلُ

فَلَمَّـا لَـوَاهُ القـوتُ مِـنْ حَيْـثُ أَمَّـهُ ... دَعَـا فَأَجَـابَتْـهُ نَظَـائِرُ نُحَّـلُ

مُـهَلَّلَـةٌ شِيـبُ الـوُجُـوهِ كـأَنَّـهَا ... قِـدَاحٌ بِأيـدِي يَاسِـرٍ تَتَقَلْقَـلُ

أوِ الخَشْرَمِ المبْعـوثُ حَثْحَـثَ دَبْـرَهُ ... مَحَـابِيضُ أَرْدَاهُـنَّ سـامٍ مُعَسَّـلُ

مُـهَرَّتَـةٌ فُـوهٌ كـأنَّ شُدُوقَـهَا ... شُـقُوقُ العصـي كالحـات وبسـل

فـضَجَّ وَضَجَّـتْ بالبـرَاحِ كـأنَّـها ... وأيَاهُ نُـوحٌ فَـوْقَ عَلْيَـاءَ ثُـكَّلُ

وأغْضَى وَأَغْضَـتْ وَاتَّسى وَاتَّسَـتْ بـه ... مَرَامِيـلُ عَزَّهَـا وعَـزَّتْـهُ مُرْمِـلُ

شَـكَا وَشَـكَتْ ثُمَّ ازْعَـوَى بَعْـدُ وَازْعـوَتْ ... وَلَلصَّـبْرُ إنْ لَـمْ يَنْفَـعِ الشَّـكْوُ أَجْمَـلُ

وَفـاءَ وَفـاءَتْ بَادِرَاتٍ وَكُلُّـهَا ... علـى نَكْـظٍ مِمَّـا يُـكَاتِمُ مُجْمِـلُ

دلالة الفعل غدا تعطي ثبات المعاناة والصّبر عليها، والتحدي لها، وهي تثبت الدلالة الزمنية التي يبدأ فيها الشاعر هذه المعاناة ووقوعها منذ الفجر وقدرته على التعامل معها، فالشاعر يعيش في مأساوية من خلال تعبيراته الجسدية والنفسية على الذئب، فمن خلال الأبيات ندرك بوضوح مدى التَّمرُّد النفسي المتابع مع هزال الجسد، كما ندرك صورة الذئاب الصّعاليك ما هي إلَّا رمز لصورة الكائنات الضعيفة الجسد، القوية النفس في صراعها مع الزمن والمجتمع، وقد فضّل الشنفرى هذا القمع الجسدي الذي مارسته الطبيعة عليه على القمع الاجتماعي من ذل وهوان من القبيلة، فبالرغم من قمع الطبيعة والمجتمع للشاعر كان يتميز بثقة عالية بالنفس، وتمرد وتحدي ورفض للواقع المرير من قلة القوت الذي لا يتناسب مع عدوه وكثرة حركته، ففي وصفه للذئب الجائع (غدا طاويًا) وصف لذاته الجائعة إلى الحرية والوجود من أجل تحقيق الذات، وتمرد وتحد لمن يقف في وجه مبتغاه، فهي استمرارية وعدم استسلام، وعواء الذئب واستغاثته صارخًا على الفراغ والخواء هو صراخ للشاعر استنكارًا لواقع المهانة، تعبيرًا للحاجة إلى الاستقرار ورغبةً في الحرية، فالشاعر يعاني وهذه المعاناة ولدت لديه روح التحدي[24].

وفي متابعة الشنفرى لمسيرة التمرد والتحدي يقول:

وَآلَـفُ وَجْـهَ الأرضِ عِنْـدَ آفْتَرَشِـهَا ... بِأَهْـدَأَ تُئْبِيـهِ سَنَـاسِـنُ قُـحَّلُ

وَأَعْـدِلُ مَنْحُوضًـا كأنَّ فُصُوصَـهُ ... كَعَـابٌ دَحَـاهَا لاعِـبٌ فَهْـيَ مُثَّـلُ

فـإنْ تَبْتَـئِسْ بالشَّـنْفَرَى أمُّ قَسْطَـلٍ ... لَمَـا اغْتَبَطَـتْ بالشَّـنْفَرَى قَبْـلُ أَطْـوَلُ

طَرِيـــدُ جِنَـــايَاتٍ تَيَاسَـــــرْنَ لَحْمَـــــــهُ ... عَقِيـرَتُـــــــهُ لِأَيِـــــهَا حُـــــــــمَّ أَوَّلُ

تَنَـــامُ إذا نـــــام يَقْظَـــــــى عُيُونُـــــــها ... حِثَـاثًـــــا إلـــــى مَكْرُوهِـــهِ تَتَغَلْغَـــلُ

وإلـــفُ هُمُـــومٍ مـــــا تَـــزَالُ تَعُـــــودُهُ ... عِيَـــــادًا كَحُمَّـــى الرِّبْـــعِ أو هِيَ أَثْقَـــلُ

إذا وَرَدَتْ أَصْـــــــــدَرْتُهَا ثُمَّ إنَّهَـــــــا ... تَثُـــوبُ فَتَـــأْتِي مِـــنْ تُحَيْـــثُ ومِـــنْ عَـــلُ

فإمّـــا تَـــرَيْنِي كَابْنَـــةِ الرَّمْـــلِ ضـــاحِيًا ... علـــــى رِقَّـــةٍ أَحْـــفَـــى ولا أتنعـــــلُ

فـــإنِّي لَمَـــــولى الصَّـــبْرِ أجتـــابُ بـــزَّهُ ... عـــلى مِثْـــلِ قَلْـــبِ السَّـــمْعِ والحـــزْمَ أفْعَـــلُ

في الأبيات تمثيل واضح للحرمان من الحرية في شخص الشنفرى المطارد الذي يتعرض لكل أنواع المخاطر متحديًا قوانين القبيلة الظالمة، ساعيًا إلى التمرد محاولاً الوصول إلى حريته، فصورة توسده لذراعيه أبلغ صورة لألمه ومعاناته وقهره الذي يسوده تمرد وعزة النفس وتجاهل للواقع الذي كان عليه. تعوّد الشنفرى هذه المشاق والمخاطر وأصبحت جزءً منه، يألفها وتألفه، فلم يجد مفر ولا سبيل إلّا التمرد بفعل الجنايات والغارات، وقتل الكثير من بني سلمان، حتى صاروا يسعون لقتله والانتقام منه على كل ما ارتكبه في حقهم.

وتمرده في قوله: (فإمّا تَرَيْنِي كَابْنَة الرَّمْل)، يخاطب الشاعر الزمن الغادر، وهو عاري الجسد وحافي القدمين ساترها رمل الصحراء والشمس، لكنه كان صبورًا شجاعًا، وألفاظه تتجهم وتتخشن وتجف فقد هرب الشنفرى من مجتمع قاهر إلى عالم بديل وهو الطبيعة التي لم تكن أقلُّ قساوة من مجتمعه[25].

جاء هذا الإحساس بلذّة الرقي بعد أن غادر الصّعاليك قبائلهم مطرودين، مخلوعين وقد خلعوا عن ظهورهم الذل والعار، وهما أمران لا يمكن الصبر عليهما إلّا بإراقة الدماء، وإعلان الحرب على سادة القبائل، أو طردهم إلى الأبد ذلك ما قاله الشنفرى مع جماعته، وقد أحسّوا بالجوع والعطش، من الطويل:

دَعِنِـــــي وَقُـــولِي بَعْـــدُ مـــا شِـــئْتِ إنَّـــنِي ... سَيُغْـــدَى بِنَـــعَشِـــــي مَـــــرَّةً فَأُغَيَّـــــــــــــــــــــــــبُ

خَـــرَجْنَـــا فَـــلَمْ نَعْهَـــدْ وَقَلَّـــتْ وَصَـــاتُنَا ... ثَمَـــانِيَـــــــةٌ مـــا بَعْدَهَـــــــا مُتَـــعَـــنَّـــــــــــــــــــــــبُ

سَرَاحِيـــــنُ فِتْيَـــانٌ كـــأَنَّ وُجُـــوهَهُمْ ... مَصَـــابِيحُ أَوْ لَـــوْنٌ مِـنَ المَـاءِ مُذْهَـــبُ

تَمُـــرُّ بِرَهْـــوِ المـــــاءِ صَـــفْحًا وقَـــدْ طَـــوَتْ ... شَمَـــائِـــلُنَا والـــــزَّادُ ظَـــــــنٌّ مُغَيَّـــــــــــــــــــــــبُ

ثَـــلاثًا عَـــلى الأَقْـــدَامِ حَـــتَّى سَـــــمَا بِنَـــا ... عَـــلى العَـــوْصِ شَعْشَـــاعٌ مِـــنَ القَـــومِ مِحْـــرَبُ

كانت الشجاعة أساس تلك المغامرات الذي خاضها الصّعاليك وسط الفيافي ليلاً ونهارًا هدفهم اقتناص الأسلاب واقتسامها، والهزء بالصلات القبلية، والدعوة إلى تضامن الصّعاليك على ما بينهم من اختلاف في الأنساب. كان هؤلاء الصّعاليك النماذج الأولى الذين ضحوا بأنفسهم، وصبروا على الآلام عشقًا للحق وهيامًا به، واستعذبوا طعم الرزايا تنزل بهم لأنهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم. كانت شجاعتهم إحدى الفضائل التي يقاس بها الرجال، بعيدًا كل البعد عن الجبن الذي هو رذيلة تلصق بالفرد فيغدوا مثلاً للرجل الذي موته أفضل من حياته[26].

وهذه صورة أخرى من صور التمرد، كقوله:

فإذا انتقلنا إلى القطعة الثانية وجدنا أنفسنا أمام صورة أخرى لها خطوطها وألوانها المختلفة عن الصورة الأولى. ومع أنّها استطاعت أن تجمع عناصرها من وادٍ آخر إلّا أنها تشترك مع الصورة الأولى في نفس الوظيفة وتنقل معها إحساسًا واحدًا، فنحن في هذه القطعة أمام إنسان قادر على رؤية الأشياء والحقائق، وسيلته في ذلك كامنة في أعماقه، وليس بحاجة إلى من يرشده أو يعينه على إدراك الحقيقة، وكل قوة خارجة عن نفسه مهما يكن من قدرتها لا تستطيع أن تمنحه ما يمنحه هذا السراج الصّغير المتوهج في أعماقه، وما دام في قلبه هذا النور المستمد من نور الله فهو في غنى بعد ذلك عن الشّموس والأقمار، فلتظلم الدنيا، وليطل الليل، وليمت الفجر وليقض النهار نحبه، ففي يده مشكاة واحدة صغيرة بين جنبيه شعاع واحد من نور فهو محصن من كل ضلال. لما كانت الهداية من الله وحده فإنّ من لم يهتد بنوره فلن تهديه الشموس ولا الأقمار، لأنّ الشمس والقمر لن يرياك إلّا ما يقع عليه بصرك وحسّك، أمّا النور الداخلي المستمد من نور الله فهو وحده الذي يرينا ما وراء الأشياء فلا يجعلنا نحتاج بعدها إلى شيء، فمن أجل هذا اكتفى الشاعر بسراجه الضئيل مُسْتَمَدًّا منه البصر ومتحديًا بعد ذلك كل ضوء آخر غيره.

لقد وضع الشاعر يده على الطاقات الكامنة في اللغة ليفجرها محدثا دَوِيًّا، فالاهتمام باللغة وسيلة للتعبير والخلق، فتجربة الشاعر في الصّعلكة تجربة غنية متصلة بموقفه من الاغتراب الذي يمثل واحدًا من المواقف الإنسانية الأساسية في مواجهة القهر إذن اللغة كانت الوسيلة المساعدة للتعبير عن نفسية الشاعر وما يجوب في خاطره.

-.خاتمة:

حاولت الدّراسة أن تقف عند تيمة، وموضوع التَّمرُّد في شعر الشنفرى، فكما كان هناك بعد وانشقاق بين القبيلة وأبنائها المنتسبين إليها، كان هناك أيضًا بعد وقطيعة وفجوة بين شعر القبيلة وشعر الشنفرى الذي تتأسس في الصحاري والمراقب، فقد كان شعر الشنفرى رسالة احتجاج وتمرد على حياة الظلم والبأس ضدّ القبيلة ومجتمعه، وهو تمرد فردي ذاتي نابع عن قناعة شخصية، فإحساسه بعدم الانتماء هو الذي قاده للخروج عن مراسيم القبيلة مفضلاً أُنس الصحراء والوحوش عن أهله وعشيرته وذويه، وللبيئة الجافة القاحلة المتقلبة المناخ من برد وحرارة، وتضاد جغرافي دور كبير في حياة الشاعر، وشخصيته، وسلوكه هذا الأمر جعله مبالغًا في حبه وكرهه، فشعر الشنفرى شعر ممزوج بمشاعر التمرد والانتصار، وصرخة مدوية لإيقاظ الضمير الإنساني من السبات، وهي آهات نابعة من إحساس مظلوم.

وثورة الشنفرى كانت انطلاقًا من ذاته أولاً حين قرر الخروج عن قوانين القبيلة وسعى إلى الحرية، وأيضًا الخروج عن التقاليد الفنية المترسبة في أشعار هؤلاء الصّعاليك.

الإحالات:

1عصام محمود(2010)، ما معنى التيمة؟، شبكة الفصيح لعلوم التربية، تم اطلاع عليه في(2020/11/5)،

http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=55533

2جميل حمداوي (2011)، المقاربة الموضوعية في النقد الأدبي، تم اطلاع عليه في (2020/11/6)،

https://www.arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm

3يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 154-155.

4 المرجع نفسه، ص 155.

5ينظر: نضال حمرانة(2013)، التمرد يجادل الواقع، تم اطلاع عليه في(2020/11/7) ،

http://alrai.com/article/617578.htm

6 عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1997م، ج3، ص 343.

7عبد عون الروضان، موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2001م، ص 164

8أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، الأغاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1994م، ج21، ص 118.

9يوسف خليف، الشعراء الصَّعاليك في العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة – مصر، 1978م، ص 331.

10عصام عبد الفتاح، الأعمال الكاملة لشعراء عصر الجاهلية، د.ط، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010م، ص869.
11بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، طبعة جديدة.منقحة.مشروحة.مفهرسة، دار مارون عبود، بيروت– لبنان، د.ت، ص 87-88.
12عبد الحليم حنفي، شعر الصَّعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص 146.
13يوسف خليف، المرجع السابق، ص 338.
14المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
15عبد الله الأحمر الأسمري(2017)، الشنفرى شاعر التمرد، تم الاطلاع عليه في(2020/11/20)،
http://alrai.com/article/10398850
16الشنفرى، ديوانه، جمعه وشرحه وحققه: إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1996م، ص 58-59، حمت: قدرت، الطيات: الحاجات، القلى: الكراهية، المتعزل: المكان المعزول، السيد: الذئب، العملّس: القوي السريع، زهلول: خفيف، العرفاء: الضبع، الطويلة: العرف، جيأل: من أسماء الضبع.
17عبد الله الأسمري، المرجع السابق.
18ينظر: المرجع نفسه.
19غيثاء قادرة، الشنفرى - في لاميته – بين نزعة التمرد والاعتداد بالذات الإنسانية، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج 35، العدد1، 2013م، ص 32.
20وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت،1996م، ص: 275.
21المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
22الشنفرى، المصدر السابق، ص 62-63، أديم:
ال: المماطلة، أضرب عنهم الذكرى صفحًا: أتناسه .فأذهل. فأنساه. يقول أتناسى الجوع فيذهب عني. هذه الصورة من حياة الصعلكة. الطول: المنّ، الذام: العيب الذي يذم به. يلف
24ينظر، مُحَمَّد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي للامية العرب(الشنفرى)، ط1، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، 1982م، ص 46-56.
25ينظر، مُحَمَّد علي أبو حمدة، المرجع السابق، ص 61-70.
26علاوة ناصري، الشاعر والسلطة(قراءة في شعر صعاليك العصر الجاهلي) ، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، مج1، العدد35، 2019م، ص 277-278.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- **الكتب**

1. أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، الأغاني، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1994م، ج21.
2. أبي علي أحمد بم مُحَمَّد بن الحسن المرزوقي، ديوان الحماسة لأبي تمام، علّق عليه وكتب حواشيه غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003م.
3. بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، طبعة جديدة. منقحة.مشروحة.مفهرسة، دار مارون عبود، بيروت – لبنان، د.ت.
4. الشنفرى، ديوانه، جمعه وشرحه وحققه: إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1996م.
5. عبد الحليم حنفي، شعر الصَّعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.
6. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1997م، ج3.
7. عبد عون الروضان، موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2001م.
8. عصام عبد الفتاح، الأعمال الكاملة لشعراء عصر الجاهلية، د.ط، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010م.
9. مُحَمَّد علي أبو حمدة، في التذوق الجمالي للامية العرب (الشنفرى)، ط1، مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، 1982م.
10. وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون الآداب، الكويت،1996م.
11. يوسف خليف، الشعراء الصَّعاليك في العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة – مصر، 1978م.
12. وسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

- **المقالات**

1. علاوة ناصري، الشاعر والسلطة (قراءة في شعر صعاليك العصر الجاهلي) ، *مجلة* مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، المجلد1، العدد5، 2019.
2. غيثاء قادرة، الشنفرى ـ في لاميته ـ بين نزعة التمرد والاعتداد بالذات الإنسانية، مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 35، العدد1، 2013.

- **المراجع إلكترونية**

1.جميل حمداوي (2011/04/28)، المقاربة الموضوعية في النقد الأدبي، تم اطلاع عليه في (2020/11/6)،
https://www.arabicnadwah.com/articles/muqaraba-hamadaoui.htm
2.عبد الله الأحمر الأسمري(2017/07/22)، الشنفرى شاعر التمرد، تم الاطلاع عليه في(2020/11/20)، http://alrai.com/article/10398850
3.عصام محمود(2010/02/08)، ما معنى التيمة؟، شبكة الفصيح لعلوم التربية، تم اطلاع عليه في(2020/11/5)،
http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=55533
4.نضال حمرانة(2013/12/06)، التمرد يجادل الواقع، تم اطلاع عليه في(2020/11/7)،
http://alrai.com/article/617578.htm